



لم تمض ساعات على وصول الجنرال (روبرت مود) إلى سوريا حتى غادرها فجأة ليعلن حالة الطوارئ في تفكيرنا، ترى لماذا يغادر قبل تنفيذ المهمة التي أوكلت إليه بقيادة فريق المتردجين الدوليين الذين انتدبوا وفق القرار 2042؟

هل كانت الرشوة المقدمة له من النظام السوري غير كافية لإقناعه بعقد صفقة ببيع فيها ضميره ويسكت عن الحق مقابل أصفار تضاف إلى حساباته المصرفية؟ أم أنَّ هذا النرويجي رفض أن يكون نسخة مكررة من الجنرال السوداني أحمد الدابي الذي قاد قطيع المراقبين العرب قبل أشهر؟

في عالم السياسة المعاصرة يفتح باب الاحتمالات على مصراعيه و تستنفر القوى الأمنية في أعصاب المواطن المسكين الذي فقد السيطرة على ارتفاع نسبة أملاح البحر الميت في دمه وكاد أن يصاب بذبحة سياسية. أحد عشر شهراً مضوا وهذا المواطن المسكين يتأرجح بين السكاكين التي تنهش لحمه وتستبيح دمه، فإذا أرده قتيلاً قالت له ببراءة الذئب: (نأسف لهذا الخطأ، ونعرب عن قلقنا العميق إزاء ما يحدث)، ثم يقيمون له مراسم تأبين تليق بالسادة المخضرمين، ويعلنون الحداد عليه. أحد عشر شهراً والعالم في حداد على شهداء الحرية السورية، وبعد هذا تهمون العالم بالتأمر على المواطن السوري؛ ألم تجتمع الجامعة العربية مراراً لأجل سلامة السوري وأمنه و استقراره؛ ألم يهدى العرب من الوقت و الجهد و المال ما يقنع المفجوعين والجرحى والمنكوبين أنَّ العالم يعنيه ما يتعرضون له من مذابح و همجية و دمار للبشر والحجر؛ ألم يرسلوا فريقاً من المراقبين ليشهد احتضار الإنسانية في سوريا ويقيم مراسم التأبين على الوجه الأمثل؛ لقد أرسل العرب كلَّ أطبائهم الاحتياطيين وطلبوا من جميع الاختصاصيين في التخدير والجراحة ونقل الدم و تخطيط الدماغ أن يحضروا إلى سوريا لإجراء عملية تاريخية توقف النزيف في الشريان السوري الأبهى، الذي انفجر بعد ارتفاع ضغط دام أربعين عاماً.

و كانت أولى مهام الفريق الطبي أن تتفاً عيون هذا السوري كي لا يرى إلا ما يريه فرعون، وأن تغسل دماغه فلا يفكر لحسابه الخاص، ولا يحلم على طريقته، ولا يخطط لأبعد من قوت يومه. وحاول الفريق جاهداً أن يستأصل كلَّ الخلايا الناشطة في الجسد السوري وأخضعوه لعملية قسطرة للعثور على كرياته البيضاء المقاومة للسرطان، وحاولوا بشتى الوسائل استئصالها وبيعها في الأسواق السوداء في ليلة حمراء، وكان الثمن أصفاراً تضاف إلى حساباتهم المصرفية. لم تنجح العملية الجراحية التي جاؤوا لأجلها ولم يستطيعوا رغم اجتهادهم أن يستأصلوا وجдан السوري وكرامته وإرادته،

وعادوا يجرون أذيال الخيبة. ولم يقتنعوا العالم بفشل الفريق الطبي الأول، فأتبعه فريقاً آخر، مصرّاً هذه المرة أن تكون العملية الأخيرة، فكان كوفي عنان القائد الأعلى وكان الجنرال مود القائد الميداني للعمليات الجراحية. لم تجد إسرائيل خيراً من عنان لتسليمها الملف السوري، كيف لا ومراكز الاستخبارات الإسرائيلية موجودة تحت السجادة التي يمشي عليها، وفي الملاعق التي يأكل بها، وفي شامبو استحمامه الصباحي؟ وقد أحسوا كلّ أنفاسه منذ طفولته ومراهقته ومكاتبته الغرامية الأولى ومخالفات المرور التي ارتكبها في سن الطيش، وعدد الأسنان الخففية في فمه، وكلّ الشيكات التي استلمها في حياته، لتكون هذه الأسلحة مادة إعلامية طرفة تسرّب بالتقسيط للصحف العالمية ووكالات الأنباء بشكل فضائح قد يسمونها (عنان غيت) على غرار (وترغيت).

فهل تتوقع خيراً من مبادرة جاءت بها إسرائيل تحت عنوان (كوفي عنان)؟ هل تحتاج الحقوق المنشورة للشعب السوري فريقاً يراقبها ويقررها؟ هل تحتاج الصحايا التي تزهق أرواحها يومياً إلى عداد دولي يحصيها؟ هل يحتاج الدمار الذي خلفه قوات العصابات الأسدية إلى مقياس ريختر ليقيس حجم الأضرار الناجمة عنه؟ لا يلdeg المؤمن من جحر مرتين. فكيف بحال من أمضى العمر يعذّ اللدغات؟ الشعب السوري التأثر كان ضحية فريق المراقبين العرب الذي كان الدليل السياحي للعصابات الأسدية يدلّهم على أماكن وجود الناشطين وعناصر الجيش الحرّ والمشافي الميدانية ولم يبق حيّ أو شارع زاره فريق المراقبين العرب إلا و تعرض للقصف العنيف بعد مغادرة القطيع، وكانت النتيجة أعداداً مضاعفة من الشهداء والمعتقلين، ومئات البيوت المهدمة فوق رؤوس ساكنيها، وألاف اللاجئين السوريين الموزعين على الحدود السورية بلا عين تكلاهم سوى عين الرحمن، ومجازر لم يرتكبها أعتى الطغاة في التاريخ.

دفعاً عن كرسي ومنصب رئاسي يباد شعب بأكمله، من يُفهم هذا الأبله المعتوه البطة أنّ مدة صلاحيته انتهت وأنّ مصيره المزبلة؟ من يقنع العالم أنّ السوري لن يسكت ولن يستكين حتى يجتث جذور الطغيان ويقدمها هدية وفاء لدماء من رسموا الطريق؟

اليوم وفي ذكرى مجررة ساحة الحرية في حمص الأبية، يشهد العالم انعقاد كونسلتو الأطباء الجدد، ويسمع صوت سيارات الإسعاف على طول الخريطة السياسية، لكنه يتفاجأ أنّ رئيس الأطباء القادم من الترويج يرفض إجراء العملية الجراحية التي كُلّف بها... ولا ندري أهو رفض إجراء قتل رحيم للشعب السوري باسم الإنسانية؟ أم مؤامرة كونية جديدة لا نعرف مضمونها بعد؟

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً** ويأتيك بالأخبار من لم تزود

المصادر: